

النهضات القومية العامة

في أوروبا وفي الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهوري

عبد كلية الحقوق ببغداد

بقية المحاضرة الثانية

طرقها في التنظيم:

وللفاشية طرق للتنظيم . والحكومة الفاشية تتألف من الملك والمجلس الأعلى والوزراء ومجلس الشيوخ ومجلس النواب والمجلس الوطني للنقابات . ومن وراء هذا الحزب الفاشي على درجة عليا من التنظيم ، وهو القيم على الحكومة الفاشية كما أن الحزب الشيوعي هو القيم على الحكومة البلشفية . ومن وراء هذا وذاك الزعيم . وهو رئيس الحزب الفاشي ، ورئيس المجلس الأعلى ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس الوطني للنقابات . وفي يده تتركز كل السلطات

والجديد في هذا التنظيم أمران :

الأمر الأول هو أن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لا يأتون بطريق الانتخاب كما في الدول الديمقراطية ، بل يأتون بطريق التعيين . فأعضاء مجلس الشيوخ يعينهم الملك بناء على ترشيح الحكومة . وأعضاء مجلس النواب يعينهم المجلس الأعلى ، ويصدق على التعيين الناخبون بطريق القاعة . والناخب يصوت لا كفرد سياسي ، بل كشخص اقتصادي ، فيفرق بين أصحاب الأعمال والعمال والقائمين بالأعمال الفكرية

والأمر الثاني هو أن هذه الهيئات المختلفة التي تتألف منها الحكومة الفاشية فيها هيئات جديدة ثان لا نظير لها في الدول الديمقراطية : المجلس الأعلى والمجلس الوطني للنقابات . أما المجلس الأعلى فهو اللجنة التنفيذية للحزب الفاشي نيج مسؤوليني في إدامها في الحكومة الإيطالية . ويتألف هذا المجلس من نحو عشرين عضواً يرأسهم الزعيم . وفيهم أعضاء معينون لمدة غير

محدودة ، وأعضاء لمدة محدودة ، وأعضاء بحكم وظائفهم . ويختص هذا المجلس بالنظر في المسائل التشريعية الكبرى ، كسن القوانين الدستورية . وهو الذي تتركز فيه السلطة التنفيذية بعد الزعيم ويعين أعضاء الهيئات التي تتألف منها الحكومة الفاشية والحزب الفاشي . أما المجلس الوطني للنقابات فيتألف من ممثلين لأصحاب رؤوس الأموال وممثلين للعمال ويرأسه الزعيم . وهو ينقسم إلى فروع تمشي مع النواحي المختلفة للنشاط الاقتصادي . فتمثل فيه الصناعة الكبرى ، والصناعة الصغرى ، والزراعة ، والتجارة ، والنقل ، والمصارف وغيرها . ذلك أن أصحاب رؤوس الأموال والعمال في كل ناحية من هذه النواحي منتظمون في نقابات متدرجة من محلية إلى إقليمية إلى مركزية إلى هذا المجلس الوطني للنقابات ويتناول اختصاصه بنوع خاص توجيه النشاط الاقتصادي في البلاد

ومن هذا نرى أن الفاشية ، بحكم المبادئ التي تقوم عليها ، والوسائل التي تتذرع بها في العمل ، والطرق التي تتبعها في التنظيم ، خصم للاشتراكية من جهة ، ولل فردية من جهة أخرى ؛ فوقفها بالنسبة لل فرد موقف وسط ، لا تدعجه في الدولة كما تفعل الاشتراكية ، ولا تطلق له الحرية كما تفعل الفردية

النازية:

وإذ فرغنا من التحدث عن الفاشية في إيطاليا نقول كلمة موجزة عن النازية في ألمانيا . وحتى نختصر الطريق نكتفي في الكلام على النازية بأن تقارن بينها وبين الفاشية ، فالحركتان تتفقان في المبادئ ووسائل العمل . ذلك لأن النازية تقدر القومية ، ولكن القومية عندها لا تقوم على رابطة الوطن كما في الفاشية ، بل تقوم على رابطة الجنس . فالجنس الجرمانى كله ، لا الأمة الألمانية وحدها ، هو الذي يجب أن يتحد . والنازية كالفاشية توفق ما بين المبادئ الاشتراكية والزرعة الوطنية ، فهي وطنية اشتراكية ذات صبغة عملية . والنازية كالفاشية لا تؤمن بالجماعات الدولية ، فهي ترى عصبة الأمم جامعة خيالية ، وتقيم حربا عوانا على البلشفية . وقد انتظم هتلر النشيطين في خطبته التي ألقاها منذ شهر عقب الحوادث السياسية الأخيرة ، فهو يقول : « إن الأمم كانت فريسة للخيلات والأوهام عندما آمنت بعصبة الأمم ،

إيمان عميق . ولهذا الدين فرائضه ومناسكه ، تتمثل أوضاعاً ورسوماً ، فن حركات عسكرية ، إلى أعلام خفاقة ، إلى إشارات رمزية ، إلى شارات موضوعة ، إلى أناشيد محفوظة ، إلى لباس خاص

والرجال قد رزقا موهبة الخطابة وقوة البيان ، والقدرة على اجتذاب شعور الجماهير . وهما إنما يشيران بدين وإيمان ، وقوة الإيمان بقضاياها سحر البيان . والرجال من رجال العمل لا من رجال الفكر ، فهما لا يترددان ولا يتمهلان ، بل يسيران قدماً إلى الأمام

والرجال يتشابهان نشأة وتربية وقوة وسطوع نجم . نشأ في المتربة والسفينة ، موسوليني أبوه حداد ، وهتلر أبوه مستخدم صغير في الجمارك النمساوية . وعاش الاثنان عيشة الكفاف ثم هجرا بلديهما ، فذهب موسوليني إلى جنيف ، حيث اشتغل عاملاً فبناءً ؛ وذهب هتلر إلى فينا ، حيث اشتغل عاملاً فرساماً . وقد تربى كل منهما في مدرسة واحدة ، هي مدرسة البؤس والشقاء ، تلك المدرسة التي كثيراً ما تنبت عطاء الرجال . فتعلما فيها صلابة العود ، وقوة المزيمة ، ومجادة الفاقة ، ومنازلة الأخطار ، وتخرج كل منهما قوى الشكيمة شديدة المراس . وأتما تربيتهما معاً في مدرسة أخرى ، هي مدرسة الحرب الكبرى ، إذ تقدم كل منهما إلى هذه الحرب ، بغاض غمارها ، واصطلي بنارها ، وعانى أهوالها ، وجرح في معاركها ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، وخرج منها وقد استكمل النضوج ، واستوفى الرجولة ، وسار إلى ما هيأته له الأقدار

وأسس موسوليني أول فرقة للكفاح (fascio di combattimento)

في ميلان سنة ١٩١٩ من مائة وأربعين رجلاً ، وتزايدت فرق الكفاح ، ونظمت تنظيمًا عسكرياً دقيقاً ، فأمكنه أن يحشد بعد ثلاث سنوات مائتي ألف من الرجال ، استولوا على إيطاليا الوسطى وسبعين ألفاً زحفوا على روما ، وقبضوا على ناصية الحكم بالقوة . وهو الآن في قصر فينيسيا يصرف أقدار أمة كبيرة ويحكمها حكماً دكتاتورياً . وذهب هتلر بعد الحرب إلى مونيخ ، وهناك انضم إلى حزب صغير غير معروف ، فأخذ يقويه ، وينفخ فيه من روحه حتى حشد فيه الآلاف من الرجال . وسجن عقب إخفاقه في

وإن السلام الذي كان يجب أن يكون حجباً يقفل به ضريح الحرب إلى الأبد أصبح مباءة تنمو فيها بذور ارتباكات جديدة ، وإن الثورة الشيوعية لم تقتصر على وضع طابعها على امبراطورية من أعظم الامبراطوريات في العالم ، بل انجذبت أيضاً إلى الشعوب المجاورة . فهناك جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال تذهب إلى الحرب لاشغال ثورات عالية من أجل الشيوعية ، وتجنبد هذه الملايين بدعوى السعى إلى إبطال الحروب . . .

والنازية كالفاشية تجعل الحكم للأقلية الصالحة ، ويقول هتلر في هذا المعنى : « نريد رجالاً قليلين من الطبقة الحاكمة الجديدة ، هم الذين يؤمنون بأن لهم الحق في أن يحكموا لتفوقهم ، ويسيطون سلطانهم دون تردد على السواد من الجماهير » . على أن هذه الأقلية الحاكمة تدين كلها بالخضوع والولاء للزعيم الأكبر

والنازية كالفاشية في زرعها الاستعمارية العسكرية . فهي تذهب إلى أن العلم الحديث يولد إيماناً لا يتزعزع في القيمة الخلقية العليا للحرب . ويقول الدكتور جوبلز : « إذا حاولت أن تقع الحرب ، فانك تكون كمن يحاول أن يجمع حركات الطبيعة »

والنازية كالفاشية في الظروف التي نشأت فيها . فقد قامت النازية عقب خروج ألمانيا من الحرب مهزومة . وكانت للاضطرابات التي أحدثها الاشتراكيون الألمان ، والاضرابات التي نظموها ، أثر حاسم في هذه الهزيمة . وقد سام الحلفاء المنشعرون ألمانيا المهزومة في شروط الصلح خسفاً جرح كبرياءها ، وفي وسط هذه اليوم المتلبدة سطع نجم مؤسس النازية ، بعد أن أقام حركته لمقاومة البلشفية ، ولاتخاذ الوطن الجرمانى ، وبعثه من جديد

والنازية كالفاشية أخيراً في شخص الزعيم . ففي إيطاليا موسوليني القائد المحرك (Duce) ، وفي ألمانيا هتلر القائد المرشد (Tührer) ، وهذا وراءه النازي فرقاً منظمة وهم ذوو القمصان السوداء ، وذلك وراءه الفاشستي أى فرق الكفاح ، ذوو القمصان السوداء . وقد لجأ الرجال إلى أساليب واحدة في تنظيم معسكريهما : خضوع مطلق لسلطان الزعيم ، ونظام عسكري دقيق ، وروح وطنية حربية ، وشبان يحشدون بالآلاف ، ويدخلون أفواجا في هذا الدين الجديد . وكل من الفاشية والنازية دين ينطوى على

أما الروابط الاجتماعية فتصل بالدين من جانبه الاجتماعي ، لا من جانبه الاعتقادي

والنتيجة الثانية هي أن الفرد في أوروبا لم يتحرر إلا بعد أن تحرر المجموع . والديمقراطية التي حررت الفرد لم تقم إلا بعد أن تدعمت الوطنية التي حررت الأمم . وليس في هذه النتيجة العملية خروج على النطق ، ولا انحراف عن طبيعة الأشياء ، فالفرد جزء من المجموع ، فكيف يكون الجزء حراً إذا كان كان المجموع مقيداً في ربة الأسر ؟

والنتيجة الثالثة والأخيرة هي أن القوميات في أوروبا عندما تكونت أسرفت في التعصب ، وتطرفت في الاستئثار . وتقهقر الجانب الإيجابي من الوطنية ، وهو حب الانسان لوطنه أمام الجانب السلبي وهو بغضه للأوطان الأخرى ، وحل التعصب للدين ، فكان من ذلك أن هزمت الحروب أركان أوروبا ، واندلعت نيران التعصب للوطن بعد أن نشأت الوطنية وترعرت ضيقة هوجاء ، وأصبحت لا تتسع للاندماج في روابط الجنس والدم . وتعالى أوروبا الآن من تقطع وشائج القرابة ما بين الأمم الأوروبية ما تقف أمامه عصبة الأمم عاجزة دون حول . فما كان أولى برابطة الوطن أن تتوثق في ظل رابطة الجنس ! وما كان أولى برابطة الجنس أن تتوثق في ظل رابطة أوسع ! وهكذا تدعم كل رابطة أختها ، فتحقق الدماء ويسود السلام ؟

عبد الرزاق محمد السهروري

وردة أراد بها قلب الحكم في باناديا ، وكتب في السجن كتابه لندي أسماء : « جهادي Mein Kampf » ولما أطلق سراحه ، جمع شتات حزبه وكان قد تفرق . وعاد إلى الجهاد ؛ ثم أخذ يستولى على مشاعر الأمة الألمانية شيئاً فشيئاً ، حتى ضمها تحت لوائه ، وأصبح الآن هو المسيطر على سبعمين مليوناً من البشر من أعظم الشعوب وأرقاها ، يخضعون لشارته ، ويدينون له بالولاء .

يقى أن نقول إن الفاشية والنازية تنازلاان البلشفية بنفس سلاحها . فهما كالبلشفية تحكما دكتاتورياً ، وهما كالبلشفية أيضاً تخضمان النظام السياسي للنظام الاقتصادي . والمركة قاعة بينهما وبين البلشفية ، فأى العسكريين يكتب له الانتصار ؟ هذا هو السر الخبوء في عالم القدر . على أن الحوادث السياسية الأخيرة وبنوع خاص تلك المحالفة التي عقدتها فرنسا مع روسيا البلشفية والتي أثارت سخط خصوم البلشفية حتى بين الفرنسيين أنفسهم ، قد تعجل بالمركة الفاصلة ، وقد تفرق أوروبا من جديد في بحار من الدماء

على أنه سواء تغلبت البلشفية في المركة القادمة ، أو انتصرت الفاشية والنازية ، فالواقع من الأمر أن كلا الخصمين مشيع بروح الدكتاتورية البالغة في التطرف ، وأن الصريح بينهما هي الديمقراطية على كل حال . وقد صار واجبا على الديمقراطيين أن يراجعوا أصول الديمقراطية من جديد ، حتى تتمشى مع ما يقتضيه هذا التطور السريع

والآن وقد انتهينا من استعراض الحركتين الفاشية والنازية وانتهينا بذلك من استعراض النهضة القومية في أوروبا منذ المصور الوسطى إلى الآن ، نختتم هذه المحاضرة بإيراد بعض النتائج العامة التي نستخلصها من تطور هذه النهضة ، ونكتفي منها بثلاث :

النتيجة الأولى : هي أن رابطة الدين التي كانت تسود في المصور الوسطى قد زال سلطانها في المصور الحديثة . وقد انفصلت الكنيسة عن الدولة . ولا نعى بذلك أن سلطان الدين قد زال من القلوب ، فإن الانسانية لا غناء لها عن الدين مهما بلغ حظها من التقدم . ولكن عرش الدين مكانه القلوب والضمائر .

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

« الطبعة الرابعة »

ترجمها الأستاذ أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً